جامعة الحسين بن طلال
عمادة الدراسات العليا

السجن فضاءً مكانيًا في روايات أيمن العتوم
روايات (يسمعون حسيسها ، يا صاحبي السجن ، حديث الجنود) أنموذجًا

الطالبة
هيام محمد علي الهلالات

إشراف الدكتور
علي محمد الذيابات

قُدّمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

جامعة الحسين ، معان ، الأردن
٢٠١٨\٢٠١٩م

قرار المناقشة

السجن فضاءً مكانيًا في روايات أيمن العتوم ، روايات (يسمعون حسيسها ، يا صاحبي السجن ، حديث الجنود) أَنموذجًا

إعداد الطالبة

هيام محمد علي الهلالات

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب

جامعة الحسين بن طلال

/ / ٢٠١٩

أعضاء لجنة المناقشة :

- **الدكتور علي محمد الذيابات ..... رئيسًا ومُشرفًا**
- **الأستاذ الدكتور حسن فالح البكور..... عضوًا**
- **الأستاذ الدكتور عيسى نوري العبادي..... عضوًا**
- **الدكتور مفلح ضبعان الحويطات .....عضوًا خارجيًا**

الإهـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين .. وبعد

إلى من علَّماني الصبر والجدَّ والاجتهاد وأرسيا لديَّ قواعد الخُلق الكريم أبي و أمي حفظهما الله .

إلى نبض القلب ورفيق الدرب إلى الذي منحني العزم والتصميم والإرادة وكان دعمه مددًا لي في حياتي، إلى زوجي الغالي .

إلى كل محبٍّ للحرية والعدالة إلى الذين ظُلموا وعُذّبت أرواحهم وأجسادهم في سبيل الحق.

أُهدي هذا العمل .

شُكر وتقدير

الحمد لله من قبل ومن بعد أن منَّ عليَّ فأتممت هذا البحث ولا أدّعي الكمال فيه ولكنّه جُلَّ جُهدي فالفضل لله والتقصير منّي .

وشُكري وامتناني للمُشرف على رسالتي الدكتور علي ذيابات حفظه الله ومدّ في عُمره ، تفضّل بالإشراف على هذا البحث فكانت نصائحه وإرشاداته نبراساً ونوراً ساعد في إخراج هذا البحث.

والشُكر الموصول للجنة المناقشة :

الأستاذ الدكتور حسن البكور

والأستاذ الدكتور عيسى العبادي

والدكتور مفلح الحويطات

وشُكري لأخي الحبيب أستاذ اللغة العربية وشاعرها المُبدع عبدالله الهلالات على ما قدّم من نُصحٍ و طباعة وتنسيق

جزى الله بالخيرات عنّي كل من مدّ يد العون والمساعدة

قائمة المحتويات

المحتوى	الصفحة
الفصل الأول: ماهية الفضاء وإشكالية المصطلح	٤
– الفضاء المفهوم والإشكالية	٧
– الفضاء معادلًا للمكان	١٥
– الفضاء في الدراسات الأدبية والنقدية	١٧
الفصل الثاني: فضاء السـجن في روايات الروائيّ أيمن العتوم	
– مدخل	٢٩
– تعريف السّجن لغة واصطلاحًا	٣١
– السّجون السياسيّة، والعلاقة بين السّجين السياسيّ والسّلطة	٣٢
– فضاء السجن	٣٤
– فضاءات السّـجن	٣٨
– الزنزانة	٣٩
– الحبس الانفرادي	٤٤
– غرفة التّحقيق	٤٦
– غرفة التّعذيب	٤٨
– فضاء المزار، وفضاء الفُسحة والمكتبة	٤٩
– الفضاء الفكريّ	٥١
– الفضاء الإيمانيّ	٥٣
– فضاء الكتاب والقراءة والمكتب	٥٥
– البعد النفسيّ	٥٨
– فضاء الشّخصيّات	٦١
– فضاء الزمن	٦٧
– الخاتمة	٧٤
– سيرة حياة أيمن العتوم	٧٧
– ملخص رواية (يسمعون حسيسها)	٧٩
– رواية (يا صاحبي السجن)	٨٠
– رواية (حديث الجنود) .	٨١
– المصادر والمراجع	٨٢

الملخص

تدور هذه الدراسة حول السجن باعتباره فضاءً مكانيًا في روايات أيمن العتوم (يا صاحبي السجن، يسمعون حسيسها، حديث الجنود). و تقف الباحثة عند مكان من نوع خاص (السجن) في روايات عاش مبدعها ظرفا خاصا حين أبدعها، حضر السجن بصورة لافتة، و قوية، وعميقة في هذه الروايات، فبدا حضور السجن فعّالا في ناحية التشكيل الفني، فظهر فضاء السجن مكانًا متفاعلا مع سائر العناصر من زمن و شخوص و أحداث، كما أثّر فضاء السجن على الناحية الدلالية للنص الروائي، فحضور السجن بدا لافتا من ناحية التشكيل الفني و الدلالة الفكرية .

بذلك وقفت الدراسة على دور السجن من حيث هو فضاء مكاني روائي أدّى وظيفة جمالية تشكيلية و دلالية فكرية في آن معّا، والسجن لا يمثل قضيّةً روائيةً فقط بل يمثل قضية إنسانية وتاريخية في الآن نفسه لأنّه يتشكل كطريقة يتوخّاها المبدع لبنَاء عالمه، وللتعبير عن واقعٍ ثقَافيّ واجتماعي .

Abstract

- The prison is a spatial space in the novels of Ayman Al- atoum
- Narrations (they will not hear amurmur from it and the fellow prisoners and the tale of the solders)
- The student : Heyam mohammed Al-Hlalat
- Dr. Ali Al- Thiabat

This study revolves around the prison as a spatial space in Ayman al-Atom's novels.(O prisoners of the prison, they hear the wise, the talk of the soldiers) The researcher stands at a place of a special thing (prison) in novels whose creator lived a special circumstance when he created it. The prison was shown in a striking, strong and deep manner in these novels. The prison became active in the artistic formation. The prison space appeared a place that interacted with other elements of the time, people and events.The space of the prison also affected the narration of the novel. The presence of the prison seemed remarkable in terms of technical composition and intellectual exchangeThus, the study focused on the role of the prison in terms of spatial space, which created a functional aesthetic functionAnd semantic thought that together, imprisonment is not only a narrative issue but represents a humanitarian and historical issue in the same timeBecause it is formed as a creative way to build his world and to express a cultural and social reality

المقدمة

تعدّ الرواية الحديثة ملحمة العصر، وهي مركبة من مجموعة من الأجناس الأدبية الموروثة والحديثة، كما أنّها توفر الكثير من المعرفة والمتعة بما تعكسه من خلال تصويرها للواقع بآلامه وآماله، ولأنّ الرواية تنفرد بطريقة تشكلها وصياغتها يحرص القارئ المتخصص على تحليلها، والغوص في أعماقها بغيةَ اكتشاف أسرارها وكوامنها، واستنطاق رموزها للوصول الى خصائصها المميزة لها عن بقية الأجناس الأدبية.

وقد وقع اختيار المشرف ورغبة الباحثة على الروائي أيمن العتوم، باعتبار رواياته تتسم بكتابة سردية ذات علامة مثيرة للاهتمام، يعبّر من خلالها عن تجربة ذاتية مليئة بالقيم الانسانية، كما تحفل رواياته بتصوير الواقع الاجتماعي، من خلال تصويره للأحداث ورسمه للشخصيات بطريقة إبداعية وصادقة، رغم ما تعانيه تلك الشخصيات من آلام الحرمان والاقصاء، وهنا تكمن براعة أيمن العتوم في تصويره للأحداث والشخصيات وما يكمن وراء ذلك من رمزية واقعية وسخرية هادفة ونقد للواقع المؤلم في السجون العربية، كما أنّ رواياته تعكس حقيقة العلاقة بين المثقف والسلطة وما يشوبها من ممارسات قمعية ضدّ المثقفين في عالمنا العربي.

لقد جاء اختياري لموضوع السجن فضاء روائي نابع من بروز هذه الظاهرة في العديد من الروايات العربية ، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر (شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف، فرج لرضوى عاشور، سجن السجن لعصمت منصور، القوقعة لمصطفى خليفة، تلك العتمة الباهرة للطاهر بن جلون) بالإضافة لروايات أيمن العتوم التي تناولت السجن (يا صاحبي السجن، يسمعون حسيسها، حديث الجنود)، وقد يعود السبب لبروز هذه الظاهرة نتيجة وعي جديد مختلف عن الوعي السابق الذي كان يرى في المحتل وحده عدواً خارجياً يهدّد الذات، أي هي وليدة عهود الاستقلال، حيث يصبح العدو هو الداخل الذي يدمّر تلك الذات نفسها، حين بدأت أنظمة الحكم العربية مسيرتها "الاستقلالية" بقمع الداخل، وحجز حريته، وبهذا فقد تكون رواية السجن، هي الأكثر وعياً ومعرفة تجريبية بطبيعة السلطة.

يعد المكان عنصرا فاعلا من عناصر الرواية فهو يكتسب أهمية كبيرة، لا لأنّه أحد عناصرها الفنية، أو لأنّه المكان الذى تجرى فيه الحوادث، وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوى كل العناصر الروائية، بما فيها من

حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات، ويمنحها المناخ الذى تفعل فيه، وتعبر عن وجهة نظرها، ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف، وبهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون الفضاء الذى تصنعه اللوحة.

وقد جاءت دراستي لفضاء المكان / السجن في روايات أيمن العتوم (يا صاحبي السجن، يسمعون حسيسها، حديث الجنود) منطلقة من فاعلية المكان وبروزه في هذه الروايات، وحاولت من خلالها الاجابة عن الاشكالية الأساسية التالية: ما هي دلالة الفضاء في روايات العتوم؟ وقد اندرجت تحتها عدة تساؤلات منها: ما هو الفضاء الروائي؟ وما الفرق بينه وبين المكان الحيز؟ ما طبيعة الفضاء في روايات العتوم موضع الدراسة؟ وما علاقته بالمكونات السردية الأخرى (الشخصية، الزمن)؟ وقد حاولت خلال هذه الدراسة الاجابة عن هذه التساؤلات، وقد قسمت بحثي الى مقدمة وفصلين وخاتمة وملاحق.

الفصل الأول جاء موسوما بـ: ماهية الفضاء واشكالية المصطلح. ويندرج تحته الفضاء المفهوم والاشكالية، الفضاء في الدراسات الأدبية والنقدية، الفضاء معادلًا للمكان، ثم الفصل الثاني الموسوم بـ: فضاء السجن في روايات أيمن العتوم، ويندرج تحته مدخل ثم فضاء السجون، تعريف السجن، فضاءات السجن الزنزانة والحبس الانفرادي، والفضاء الفكري والفضاء الايماني، وفضاء الشخصيات وفضاء الزمن.

وجاءت الخاتمة تبين أبرز النتائج التي توصلت اليها الدراسة التي تنسجم مع النظرة التكاملية للفن بشكل عام، وفي الملاحق لخّصت سيرة الكاتب أيمن العتوم والروايات الثلاث موضوع الدراسة.

أما المنهج الذي اتبعته في دراستي فهو المنهج التحليلي الوصفي، الذي يتناسب مع طبيعة هذا الموضوع ، والذي يساعد على الكشف عن طبيعة العلاقات بين المكونات السردية.

وقد اعتمدت في دراستي على مجموعة من المصادر والمراجع التي كانت عونا لي في خوض غمار هذا البحث، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر (بنية الشكل الروائي/ حسن بحراوي) و (بنية النص السردي/ حميد لحميداني) و(شعرية الفضاء/ حسن نجمي) و(جماليات

المكان/ غاستون باشلار) وغيرها. ومن الدراسات السابقة التي تناولت دراسة الفضاء المكاني في روايات العتوم دراسة (الفضاء الروائي في رواية (يا صاحبي السجن/ مصطفى بن حامد).

وعلى الرغم من بعض الصعوبات التي واجهتني في دراسة الموضوع كضيق الوقت وقلة المراجع التي درست الموضوع، واضطراب مصطلح الفضاء من ناقد لآخر، إلا أنني حاولت جاهدة أن أُخرج هذا البحث بأحسن صورة.

وأخيرا أحمد الله تعالى على توفيقه، وأتوجه بخالص الشكر والامتنان لمشرفي الدكتور علي الذيابات الذي كان نعم المرشد والسند أثناء كتابتي، والشكر أيضا للجنة المناقشة الفضلاء الذين سيثرون هذا البحث بملاحظاتهم القيمة التي ستؤخذ بعين الاعتبار وستسهم في ابراز البحث كما ينبغي .

الفصل الأول

ماهية الفضاء وإشكالية المصطلح

- الفضاء المفهوم والإشكالية

- الفضاء معادلًا للمكان

- الفضاء في الدراسات الأدبية والنقدية

مدخل.....

إنّ جنس الرواية من الفنون الحديثة التي ما لبثت منذ ظهورها حتى انتشرت في كل أرجاء العالم، تنبض بحس الشارع تارةً وبنبض القلوب تارةً وببُؤس الحروب تارة أخرى، لتسري من حس الأديب المرهف إلى حس القارئ المتشوّق لصبغة السرد الروائي النابض والمفعم بالحياة، لتعطيه "فسحة من فك الارتباط مع الواقع"[١] الخاص، إلى واقعٍ آخر. " فالرواية تستطيع خلق الواقع أو على الأقل إثراء قدرته التأثيرية، وتستحق وضعًا جماليّا خاصّا بها"[٢].

فالرواية تُوصل فكرة، مدمجة بكل العناصر الروائية، إذ أنّها " تقوم على استعمال سلسلة من الأخبار استعمالا روائيا"[٣]، تجعل من الفكرة صورة مطبقة على شخوص في زمان ومكان وأحداث... ويلبسها صبغة الرواية بالكامل، لتُنشئ الخيال[٤].

وما إن انتشرت الرواية في مهدها عند الغرب في القرن الثامن عشر حتى ظهرت في القرن التاسع عشر في الأدب العربي، ثمّ ما لبثت أنّ تميّزت عند العرب لما في اللغة العربية من جماليات تطغى على غيرها. كما أنّها تعرضت للدراسة والنقد الذي قرنها بالسرديات عمومًا.

وتعرف السرديات بأنها "متوالية من الكلمات تكوّن التعاقب الزمني للأحداث"[٥]. فالتعاقب في الأحداث هو ما يميز السرد، كما أنّ لفظة السرد تعني التعاقب، والتعاقب في الرواية يكون في الأحداث المدمجة بصبغة الوصف التي تشحن عملية التخيّل عند القارئ.

ولأنّ الرواية كانت مقصداً وسوقا للمثقفين والأدباء، هي الآن ميدان أدبي عريق وإبداعيّ متألّق، فإنّها ستتعرض للدراسات الأدبية والنقدية التي تُثقّفها وتهذّبها، لتجعلها أجمل وأبدع، وذلك

---

(١) ماتز. جيسي، تطور الرواية الحديثة. ترجمة لطيفة الدليمي. دار المدى، ط١ ٢٠١٦، ص٨.

(٢) المصدرسابق ص٦٨

(٣) كريفل. شارل، الفضاء الروائي. المكان في النص، ترجمة عبدالرحيم حزل. افريقيا الشرق– المغرب. ط١ ٢٠٠٢ . ص ٧٣.

(٤) انظر جيسي ماتز، تطور الرواية الحديثة.. ص٩

(٥) بورنوف. رولان، وريال أويلي. معضلات الفضاء. ترجمة عبدالرحيم حزل. الفضاءالروائي.ص٩٨

ما يجعل الرواية في تطوّر مستمر، فـ "السرديات عموماً شهدت تحولًا عميقًا على صعيد المنهج والموضوع." [١] تبعًا للحركة الأدبية الدائبة.

مما لا شك فيه أن الرواية ترتبط بالخيال، فـ" وظيفة الرواية أن تفتح الفضاء المتخيل على مصراعيه"[٢]، وهذه ليست بالوظيفة السهلة، بل ينبغي على الروائي أن يكون حريصًا وشديد التعلّق بالمادة النقدية والأدبية المتخصصة في الرواية، حتى يستخدم فن كتابة الرواية مستعينًا بكل التقنيات الحديثة فيه، فكلّ جزء في الرواية له دراساته التي تبرزه بمزيد من الروعة التي تُضفى على هذا الفن الأدبي.

إنّ علاقة الفضاء في عملية التخيّل يدفع الكاتب للاستعانة بكل المفاهيم والطرق الكتابية، ليجعل الوصف محفّزًا للتخيل عند القارئ، دون اللجوء إلى المزايدة أو التفصيل الدقيق الكثيف الذي قد يُفقد القارئ تشوّقه للحكاية، ذلك أنَّ " الوصف يتحوّل بنظر القارئ إلى محيط "[٣] وهذا المحيط متخيّل، مستند على الأداء الكتابي الممزوج بالوصف والأحداث والحبكات الدرامية في الرواية.

أيُّ باحثٍ في فن الرواية – باعتباره من السرديات– يعلم أنّ السرد مرتبط بالأحداث التي تأتي مصحوبةً بوصف المحيط الخارجي وتفاصيله؛ مما يفتح باب التخيّل عند القارئ، فـ" لا يرد الحدث السردي إلا مصحوبا بكلّ محدداته واحداثياته"[٤]وهذا ما يضمن فتح باب التخيل، وما يضمن نجاح الرواية في التأثير في القارئ.

الرواية كاللوحة المرسومة، و" الراوي شأنه شأن الرسام يجتزئ في البداية قطعة من الفضاء ويؤطرها، ويقف على مسافة معينة منها"[٥]، بهذه المقولة الرائعة تجد الباحثة أنّ الروائي يسلسل الأحداث في إطار زمني بالسرد، ويعمّق وصف الأماكن والشخوص وكل شيء، سعيًا للنجاح في جعل القارئ متخيِّلاً لكل ما يدور في الرواية، وفي ذلك يستند على الفضاء الروائي أيّما استناد.

---

(١) بوختاش. سناء، تحولات الفضاء في رواية " لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة ".مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية والآداب– جامعة محمد خضير – بسكرة. ٢٠١٤–٢٠١٥. ص أ.

(٢) رايمون. ميشيل. ت عبدالرحيم حزل. الفضاء الروائي. ص٦٣

(٣) المصدرالسابق. ص ١٠٩

(٤) شارل كريفل. المكان في النص. ت عبدالرحيم حزل. الفضاء الروائي ص٧٢

(٥) رولان بورنوف ، سابق ص٩٩.

وتستند الباحثة على الفضاء الروائي في دراستها حول السجن فضاءً روائيًا، فما هو الفضاء الروائي، وما مدى حساسيته– في الرواية التي تعتبر مزيجًا من العناصر والمكونات تنتهي بلوحةٍ فنيّةٍ– بغيره من العناصر في القالب الروائي. وهذا ما ستقوم الباحثة بدراسته في هذا الفصل، محاولةً الخروج بمفهوم واضحٍ متكاملٍ للفضاء الروائيّ.

الفضاء الروائي المفهوم والإشكالية

أولاً: الفضاء الروائي – المفهوم.

لا شك أنّ الفضاء الروائي قد شغل الساحتين النقديتين الغربية والعربية، ومن خلال الدراسات النقدية والأدبية لهذا المفهوم، التي أثبتت بما لا يدع مجالًا للشك أن الفضاء الروائي محور تدور حوله نظريات الرواية، وغيرها من الأجناس الأدبية. فما هي ماهية هذا الفضاء؟.

الفضاء لغةً...

إنّ معنى الفضاء في اللغة العربية يكاد يكون واضحا محددًا، ذلك أنّ كل المعاجم تتفق على أنّ الفضاء هو الاتساع، وهو المكان المتسع. ففي لسان العرب يقول ابن منظور:" فضا : الفضاء : المكان الواسع من الأرض، والفعل فضا يفضو فضوًا فهو فاضٍ... والفضاء الساحة وما اتّسع من الأرض"[١]، وقد أوردها الخليل في كتابه العين على أنّ:" الفضاء هو المكان الواسع"[٢]، وجاءت في مقاييس اللغة" الفضاء هو المكان الواسع، وفضا تدل على انفساح في الشيء واتّساع"[٣]، وكذلك في القاموس المحيط: " فضا المكان فضاءً وفضوًا أي اتّسع، والفضا ما اتّسع من الأرض"[٤].

---

(١) ابن منظور. أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، ط دار صادر بيروت ، مج ١٥ ، ص ١٥٧.

(٢) الفراهيدي. الخليل بن أحمد ، كتاب العين – مرتبا على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق د. عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية ط١ ٢٠٠٣. ج٣ . ص٣٢٧.

(٣) ابن فارس. أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر ط٢ ١٩٧٩. ج٤ ص ٥٠٨.

(٤) الفيروز أبادي. مجد الدين ،القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة ط٨ ٢٠٠٥. ص١٣٢١.

ومن المعاجم الحديثة معجم الرائد، فيقول " فضا، ما اتّسع من الأرض، والخالي من الأرض"[١]. فمن خلال ما سبق يُفهم أنّ الفضاء في البداية هو مكان غير محدود الاتساع، فقولنا مكان واسع وما اتّسع من الأرض، إنّما المقصود هو الاتّساع بحدّ ذاته.

أمّا في المعاجم والقواميس الأجنبية فهو: " المكان الواسع الذي يجمع الأشياء، ويحضن حركة الكائنات"[٢]، وهذا تشابه يشير بوضوح إلى دلالة الفضاء اللغوية ، التي بدورها تحتضن الدلالة الاصطلاحية للفضاء.

في الاصطلاح :

أصبح لا يخفى على أي مطلعٍ على فن الرواية ودراساتها الأدبية والنقدية إشكالية مصطلح الفضاء، بالإضافة إلى أنّ الدراسات النقدية العربية والغربية لم تمثّل دراسة متطوّرة متكاملة عن الفضاء الروائي تُظهره بشكل يكون فيه متكامل النظرية.[٣]

ونظرًا لأنّ الدراسات الغربية والعربية التي تخصصت في الفضاء لم تكن قد قدمت تعريفا لمصطلح الفضاء، فإنّ "مصطلح الفضاء متباين المفهوم"[٤] ولم يستقرّ له تعريف وتوضيح متكامل. وعلى الرغم من ذلك لا يستطيع الباحث إغفاله؛ وذلك عائدٌ إلى أهميته في الصيغة الروائية، فـ " الفضاء أحد زوايا فن الرواية التي لا يمكن الاستغناء عنه"[٥]، فالدور الذي يلعبه الفضاء الروائي في الرواية هو وازع التخيّل، فالأحداث المسرودة تتعاقب الأحداث فيها. أما الفضاء الروائي فهو ما

---

(١) مسعود. جبران، معجم الرائد، دار العلم للملايين، ط٧ ١٩٩٢. ص٦٠٣.

(٢) الحجري. ابراهيم، حي بن يقضان. شعرية الفضاء. دراسة. جامعة محمد الخامس. ص١٢١.

(٣) انظر:–نصيرة. زوزو، اشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي.. مجلة كلية الآداب جامعة محمد خضير. العدد٦ جان في ٢٠١٠.

– البياتي. نجوى محمد، الفضاء الروائي في أدب مؤنس الرزاز.. اطروحة دكتوراه. جامعة البصرة ٢٠١١. ص ٧– ٨

(٤) بوختاش ، تحولات الفضاء في رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" ص١١

(٥) المصدر السابق ص١٢

يستعان به لإضفاء التخيّل؛ ذلك لأنّه "يخلق نظامًا داخل النص"[١]، من شأن الدراسات النقدية فهمه وإدراك ماهيته.

وقد عرّف أحمد مرشد الفضاء بأنّه " مجموعة من الأمكنة التي يتم بناؤها في النص الروائي"[٢]، بمعنى آخر أنّ" الفضاء هو العالم الواسع الذي يشمل الأحداث الروائية"[٣]، ما يدلّ على مجموعة الأمكنة التي يحتويها هذا العالم.

وفي تعريف سيزا القاسم دلالة على أنّ الفضاء له خصائصه ومقوماته، فتقول إنّ" الفضاء هو مكان خيالي له مقوماته الخاصّة وأبعاده المميزة "[٤]، وما يلخّص هذا التعريف وجهة تشخيص الفضاء الروائي، فقولها " له مقوماته" دلالة على أنّ الفضاء له بنيويّة خاصّة، وفي قولها " أبعاده المميزة " فهي تشير إلى دلائله ورموزه في النص.

أما بحراوي فيقول إنّ " الفضاء في الرواية ليس العمق سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور والشخصيات"[٥]، وهنا إشارة ترتبط ببنيوية الفضاء؛ حيث أنّه مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن، فهو يحدده بالعلاقة القائمة والمتّسقة بين الأمكنة في الرواية، وهذا يُردُّ للبنيوية.

إنّ ملامح الفضاء الروائي تُثبت أنّ "الفضاء الروائي مرن؛ يأخذ حدوده بحسب الأجناس الأدبية المقدمة له"[٦]، فهو ليس علامة وبُنية ثابته، بل متغيرة تتناسق مع الجنس الأدبي، والحالة

---

(١) جـ. بـ. كولدنستين. الفضاء الروائي،. ت عبدالرحيم حزل. الفضاء الروائي ص١٩.

(٢) مرشد. أحمد، البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله، ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١ ٢٠٠٥، ص ١٣٠.

(٣) لحمداني. حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ط١ ١٩٩١، ص ٦٣.

(٤) القاسم. سيزا، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ. ، مهرجان القراءة للجميع – مكتبة الأسرة – مصر ٢٠٠٤ ، سلسلة إبداع المرأة، ص ١٠٤

(٥) بحراوي. حسن،بنية الشكل الروائي: .الفضاء .الزمن .الشخصية، ، المركز العربي الثقافي بيروت، ط١ ١٩٩٠، ص ٣١.

(٦) قريرة. حمزة، بنية الفضاء في الخطاب الروائي لأمين الزاوي، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة قاصدي مرباح – الجزائر، ٢٠١٥ – ٢٠١٦ ، د. ، ص ١٧.

التي يوجّه الكاتب عمله إليها، فهو متناسق ومنسجم مع الأجناس الأدبية على العموم، وهنا إشارة بارزة للمقدمة الطللية في الشعر العربي القديم[١]، فهي ذكر مكان، وتفصيل لملامحه مما يؤدّي دور الفضاء الروائي كدافع للتخيُّل.

فلا مكان معين للفضاء في الرواية، فـ" الفضاء يلف مجموع الرواية بما فيها الأحداث المسرودة، فهو ليس مكوّناً من الأحداث لكنه يؤطّرها "[٢]، تتفق الباحثة بأنّ المخيلة مربوطة بالفضاء، فالواجب أن يبقى الفضاء موجودًا ما وُجد السرد، لأنّ " المكان يستقطب جميع العناصر الداخلة في النص، من شخصيات تخترق المكان وتفعل سلبًا وإيجابًا، وأحداث يتعين أن تقع ضرورة في موضع معلوم، يتبعه مسار زمني اتجاه السرد في توافق مع نسق محدد"[٣]، لذا فهو مرتبطٌ بكل عناصر الرواية بعلاقة التأثّر والتأثير.

بما أنّ الفضاء هو مجموعة الأمكنة، فلا بدّ لهذ الأمكنة المتعدّدة من علاقات بينها، ربما تكون سببا في تضخم العقدة الروائية، وربما تكون سببا في تغيير مجرى الأحداث، فـ"مجموع الأمكنة تجري فيه علاقات تناظر وتضاد أو تجاذب أو توتّر وإقصاء "[٤]. وبناءً عليه فإن المكان الواحد لا يدل على ما يدل عليه الفضاء عمومًا، إنما يسهم فيه. حيث يترك أحد الأمكنة أثرًا ما في الشخص، ليكون بعد ذلك مكانًا آخر يترك أثرًا مختلفًا إيجابا أو سلبًا مع المكان السابق، فتنشأ بذلك تلك العلاقات المتناظرة أو المتضادّة، ذلك ما يؤسس فضاءً يلف الأمكنة.

ومما تجدر الإشارة إليه برابط الفضاء بغيره من العناصر، فإنّ " بنية الفضاء هي جملة العلاقات بين العناصر الفضائية المتداخلة والمتعالقة على اختلافها، بحيث لا يمكن لأحدها أن يحمل دلالة إلا في إطار علاقته بالكل"[٥]، وهو أيضا، "محكوم بالتحليل النفسي والتأمل الأخلاقي

---

(١) ينظر مقالة: مسكين. حسن، فضاء الشعر الجاهلي، ، مجلة فكر ونقد، العدد ٤٧، ٢٠٠٢ – المغرب . المقال الثامن.

(٢) لحمداني، بنية النص السردي. ص ٦٤.

(٣) حسن بحراوي، مقدمة الفضاء الروائي. عبدالرحيم حزل ص٦

(٤) بورنوف وأويلي. سابق، ص٨٩.

(٥) انظر حمزة قريرة، بنية الفضاء في الخطاب الروائي لأمين الزاوي.. ص ١٩ – ٢٠.

الفلسفي"[١]، فالحالة النفسية تُسهم في وصف المكان بصورة مرتبطة بتلك الحالة، فالبائس لا ينظر للأمكنة كما ينظر إليها السعيد. بالتالي لا يصفها كما يصفها الآخر، وبذلك تكون طبيعة الأمكنة المؤدية إلى الفضاء تتأثر بالعوامل النفسية، وكذلك رابط الأخلاق والفلسفة.

هنا يتضح للباحثة أنّ الفضاء الروائي هو مجموع الأمكنة ودلالاتها ورموزها، والعلاقة القائمة بين هذه الأمكنة، متأثرةً بالعوامل النفسية والأخلاقية والفلسفية، مخرجةً بذلك صورة فضائية متناسقة مترابطة تشعُّ في ذهن القارئ خيالاً صادقًا يتفاعل معها أيّما تفاعل.

ثانياً: الفضاء الروائي – الإشكالية

يقع الفضاء الروائي من الرواية موقع المحيط بكل العناصر الأخرى مؤثّرًا ومتأثّرًا بها، فـ" الفضاء أبعد من أن يكون محايدًا فهو يتجلّى في أشكال ويتّخذ معاني متعددة، إلى درجة أن يكون أحيانًا علّة وجود الرواية"[٢]؛ أي أن يهدف الراوي بروايته فضاءً ما حيث "يقدّم الروائي للقارئ حدًا ادنى من الجغرافية لإطلاق خيال القارئ"[٣]، ولكن الدارسين والباحثين والنقّاد اختلفوا وتباينوا في تفسير واصطلاح الفضاء، وذلك تبعا للمدارس الفكرية، أو في محاولات لتفسيره من جانب واحدٍ فقط.

في الواقع لو بحث المتأمّل الفضاء الروائي كل الدراسات والمقالات والكتب التي اعتنت به سيحيط به كل الإحاطة إن جاز للباحثة التعبير عن ذلك، فمن درسها كبنية، ترك ما للفضاء من سيميائية، وكذلك من درس سيميائية الفضاء ترك ماله من بُنية، و"هناك دراسات حصرت مفهوم الفضاء بالفضاء الزمني، أو دعت إلى دمج الفضاءين – المكاني والزماني– ليتشكل من خلالهما الفضاء الروائي العام"[٤]، كل تلك المحاولات تتعاضد مع بعضها لتشكّل كتلة معرفية وفكرية ضخمة تمثّل الفضاء الروائي لكنّها، لا تقدّم له تعريفًا يوضّح انموذجه الخاص وتجلياته المبهرة، أو يوضّح ماهيته ليتم التحكّم فيه ورصده بما يسهم في تقدّم وتطوّر العمل الفني.

---

(١) بورنوف وأويلي، سابق .ص١١٣

(٢) بورنوف وأويلي، سابق ، ص ٨٨

(٣) المصدر السابق ص ٨٧

(٤) نجوى البياتي ، الفضاء الروائي في أدب مؤنس الرزاز .. ص٨

فمن زاوية تشخيص الفضاء؛ فإنّ" تحديد فضاء رواية يعني برمجة مسبقة للأحداث وتحديدًا لطبيعتها"[١] فالراوي يدرك مدى الفجوة التي قد تكون في الرواية إن لم يكن محددا للأحداث وطبيعتها، إذ يجد المتأمّل أنّ " تشخيص الفضاء مرتبط ارتباطًا وثيقًا باشتغال الأثر الروائي"[٢] فمن خلاله تُشحن المخيلة، لذلك "عدم مقدرة الكاتب على خلق عالم ملموس من الأشياء، أو رغبته بالإبقاء على اللبس يعدّ عجزًا فاضحًا"[٣].

أيضا يأتي (يوري ايزنفايك) ويُصرّ على إمكانية وضع الفضاء الروائي في نقاط واضحة وبمعالم راسخة وميسورة منسّقة حيث تشكّل وحدة واحدة متماسكة. ما يعني الأدلجة[٤].

لم تجد الباحثة من خلال الدراسة أحدًا من النقاد الغرب المحدثين من تحدّث في التفريق بين الفضاء والمكان والحيّز، ربّما لأنّ التفريق بين هذه المصطلحات أمرٌ واضح مسلّم به. كما أنّ هؤلاء النقاد أكثروا من استخدامهم لمصطلح المكان في أبحاثهم ودراستهم، لكنّهم جميعًا سلّموا أنّ الفضاء أوسع[٥]؛ إنّما بنية هذا الفضاء الرئيسة هي الأمكنة، بالتالي كانت أبحاثهم تعجّ بمصطلح المكان ولكن في نطاق دراستهم للفضاء، أو كانوا يعنون بدراستهم للمكان الفضاء الروائي نفسه.

أمّا النقاد العرب، فقد شغلهم التفريق بين المكان والحيّز والفضاء، ويرجّح حسن نجمي أنّ المغالطة بين مصطلحي المكان والفضاء بدأت عند خطأ غالب هلسا[٦] في ترجمة كتاب "شعرية الفضاء" لغاستون باشلار، باسم "جماليات المكان"[٧]، مما أدّى إلى اعتناق النقاد العرب لمصطلح

---

(١) انظر: بنكراد. سعيد، السيميائيات السردية – مدخل نظري، كتاب جيب صادر عن جريدة الزمن – المغرب ٢٠٠١، ص٨٧

(٢) جـ. ب،. جولدنستين، المصدر السابق، ص٨٩.

(٣) بورنوف وأويلي. سابق، ص٨٩

(٤) آيزنزفايك. يوري، الفضاء المتخيل والأدلوجة.، ت عبد الرحيم حزل، الفضاء الروائي، ص١٢٣-١٣٠

(٥) ينظر: حزل. الفضاء الروائي... من خلال مراجعة الكتاب يتبين الإكثار من مصطلح المكان عند كل النقاد الغرب في نطاق دراستهم للفضاء الروائي.

(٦) نجمي. حسن،شعرية الفضاء المتخيّل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي بيروت ط١ ٢٠٠٠ ، ص٤٢

(٧) باشلار.غاستون، "جماليات المكان"، ت غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط٢ ١٩٨٤.

المكان في دراساتهم للفضاء، فانعكس على المضمون العام في دراسته، على الرغم من أنّ النقد العربي الآن يُعَدُّ في مرحلة تجاوزت ذلك الخطأ بمراحل؛ ووجب أن تنهض بعدها تلك الدراسات لمستوى أرقى من الانغماس في ذلك الخطأ، إلى تحقيق دراسة فارقة للنقد الأدبي العالمي.

جاء عبدالملك مرتاض في كتابه في نظرية الرواية مستخدمًا مصطلح الحيّز بدلًا من الفضاء، فيقول: "إنّ مصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل قاصرٌ بالقياس مع الحيّز"[١]، لذا كان من الواجب أن يشغل التفريق بين هذه المصطلحات الثلاثة حيّزا في الدراسات النقدية العربية، لأنّ ذلك الرأي لم يكن مدعومًا مسبقًا، مما يدعّم الفجوة المفاهيميّة بين المفاهيم الثلاثة الفضاء والمكان والحيّز.

لقد سعى مجموعة من النقاد العرب إلى الوقوف على هذه الجزئية للتفريق بين المصطلحات الثلاثة، وأشاروا بشكل علني إلى ذلك المأخذ، موضحين بالأدلة الفكرية المفاضلة التي تم اختيار مصطلح الفضاء لا غيره لهذه الدراسة. منهم حسن نجمي في شعرية الفضاء، حيث يفصل بين مصطلحي المكان والفضاء، بتحديد وظيفة كل منهما، بالتالي الوصول لفكرة أن "الفضاء سابق للأمكنة... ثم تأتي الأمكنة لتجد لها حيّزا في هذا الفضاء"[٢]. فمن هنا تبرز الأمكنة جميعها داخل الفضاء، وذلك تبيين منطقي.

وكذلك حميد لحمداني في كتابه "بنية النص السردي"، الذي يصل إلى النتيجة نفسها، بأنّ "مجموع الأمكنة هو ما يبدو منطقيًّا أن نطلق عليه الفضاء... والمكان بهذا المعنى هو مكوّن للفضاء"[٣].

ومن الدراسات والأبحاث التي أدخلت في البحث مصطلح الحيز، دراسة بعنوان تحولات الفضاء في رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" لسناء بوختاش حيث تقول في نهاية بحثها: "إننا نتوصل إلى نتيجة مفادها أنّ الفضاء هو الأكثر استعمالا في الدارسات النقدية كونه أكثر شمولا

---

(١) مرتاض.عبدالملك ، في نظرية الرواية، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت، ١٩٩٨م، ص ١٢١

(٢) نجمي، شعرية الفضاء، ص٤٤

(٣) لحمداني. بنية النص السردي، ص ٦٣